وصف شيهان كيف أن كسنجر « أخرج دفتر ملاحظات أسود من جيبه وقال لخدام : في هذا أكثر أرقام التليفونات حرارة في واشنطن ، وحين توقع الاتفاقية تصبح ملكا لك » (شيهان ١٩٧٦ ص ١٢١) وعلق جورج بول على موقع الأسد بين غروميكو وكسنجر « شعر غروميكو بأنه مضطر لأن يسافر عدة مرات إلى دمشق ليرى الرئيس الأسد ، وفي كل مرة كان يصل بعد كسنجر الذي ــ كما قال أحد الأذكياء ــ يكون قد ترك البلدة وكأنه العاشق المتيم لزوجة بحار مسافر » (بول ١٩٧٦ ص ١٣٧) .

والخصوم العرب الذين يظهرون بمواصفاتهم التقريرية والذكورية ، سيتعرضون للفضح بوصفهم أصحاب أمزجة صبيانية ، عاجزين عن التصرف بعكس ما يقولونه ، وعاجزين عن الاستمرار في عمل متناسق (سعيد ١٩٧٨ ص ٣١٢ ــ ٣١٧) .

وقد استنتج جورج بول في أحد مقالاته ، وبشيء من الرضا ، ان منظمة التحرير قد تمتعت بمجرد لحظة عابرة من « التبختر » على المسرح الدولي في ١٩٧٤ ، في حين أن الملك المعتدل حسين كان يعود أدراجه تدريجيا نحو التمتع بالاحترام العربي » وصورة مقاتلي منظمة التحرير وقادتها بوصفها «متبجحين» عاجزين عن الصمود أمام هجوم مضاد جدي ، لا زالت هي الصورة السائدة لدى رسميي وزارة الخارجية حتى الوقت الحاضر .

وفي ظل هذه الافتراضات الأساسية عن الثقافة والشخصيات التي كان يواجهها كسنجر ، تقدمت ديبلوماسيته المكوكية في عام ١٩٧٥ . فالالتزامات التي نتجت عن هذه العملية حافظت على البنية البسيطة نسبيا للبلورة المفهومية الأولية ، ولكن كان عليها أن تعمل في ظل نتائج أكثر تعقيدا خلال المرحلة التالية من الديبلوماسية .

واستعملت « العلوم الجوية » لتجنب نشوء شك دولي بالنسبة للمفاوضات المحيطة ، وفعالية المظاهر المكوكية لكسنجر ولرؤية السلام ، التي رفعها الاعلام الى مستوى التقديس ، لم يكن مسموحا لها أن تنافس صورة « برميل البارود » ومع هذا فالمساهمة الدولية في عملية حسم الصراع كانت تتجاوز بمساعدة الاعلام ، ويتم انشاء منطق وشرعية للعلاقات الخاصة بين مصر واسرائيل . إن الموقع الذي حظيت عليه منظمة التحرير في الاجتماع العام للأمم المتحدة ، والقوة الجديدة التي حصلت عليها أقطار النفط العربية ، كانتا معرضتين في وقت واحد للاستخفاف بهما وعرضتين للهجمات الكلامية . وطور دانيال موينهان انتقاده اللاذع للأمم المتحدة الى أن شمل جميع العالم الافرو آسيوي الذي تجرأ على دعم منظمة التحرير الفلسطينية ، أما الرئيس فورد فاستعمل استشهادات شوفينية متزايدة لكي يطرح « مشروع الاستقلال » وتم التعبير عن قلق كسنجر الجديد بشأن الحساسيات الأوروبية من خلال المحاولات المبذولة لانشاء كارتل للأمم المستهلكة للنفط .

ووضع المزيد من العناصر الأساسية البنيوية والستراتيجية موضع التنفيذ مع توقيع اتفاقية سيناء ؟ وقامت قاعدة هرمية جديدة للولايات المتحدة وزبائنها الرئيسيين ــ اسرائيل ومصر والعربية السعودية ــ بتأمين نظام الهيمنة في مركز الشرق الأوسط . ونظر إلى انفصال مصر بوصفه رائدا في « عملية مفيدة » وبهذا تم اضفاء الشرعية على دور مصر اللاحق كزبون . وعن طريق الضمانة النفطية وأجهزة الاستخبارات التي تعاونت على تثقيف السادات